«إنتفاضة النمامشة بقيادة الشيخ محي الدين 1871 من خلال وثائق أرشيفية»

Uprising the Namemchas Led by Echihk Mahieddine in 1871 through archive documents

د فريد نصر اللّه
رئيس قسم التاريخ - جامعة تبسة-

الملخص :

تمثل الوثائق الأرشيفية مصدر هام للكتابة التاريخية و خاصة المراسلات الرسمية ويحتفظ أرشيف ماوراء البحار الفرنسي على عشرات المراسلات لقادة المقاومة الشعبية قد تساعد الباحثين والمؤرخين في توثيق ما يهم هذه الحقبة التاريخية و من هذه الوثائق المحفوظة رسائل الشيخ محي الدين بن الأمير عبد القادر إلى قادة قبيلة النمامشة عامم1871،و التي نقدمها بين صفحات هذه المجلة المرجعية ليستفيد منها الباحثين المختصين في تاريخ الجزائر المعاصر.

الكلمات المفتاحية:
انتفاضة 1871، قبيلة النمامشة ,الشيخ محي الدين ،قادة المقاومة الشعبية

Summary:
Archival documents are an important source of historical writing especially official correspondence, and the National Centers Archives Overseas maintains dozens of correspondence for leaders of popular resistance that may assist researchers and historians in documenting historical interest , And from these archived documents are unique letters for Echihk Mahieddine Ben Elamir Abdelkader to the leaders of the Namemchas tribe in 1871. And we present among the pages of this reference magazine for the benefit of researchers specialized in the contemporary history of Algeria.

Key Words :
Uprising 1871, Echihk Mahieddine, the leaders of the Namemchas, popular resistance .

مقدمـــــــة:

تعتمد الدراسات التاريخية المعاصرة على الشهادات الحية و الوثائق الأرشيفية لتوفر التجهيزات المساعدة على تسجيلها و حفظها ، فأصبحت ركيزة البحث التاريخي و أصبحت تمثل الأساس الذي يتم من خلاله إعطاء مصداقية للمادة التاريخية،خاصة بعد تعدد وتنوع مصادرها ، فظهرت دراسات ومناهج نقدية في التاريخ، منها ما له علاقة بنقد الوثائق التاريخية المكتوبة ، ومنها ما له علاقة بنقد الرواية الشفوية ، وتزداد أهمية التاريخ الشفوي باعتباره مصدراً تاريخياً ، لقي رواجاً في الأوساط العلمية [1].

يعد الرجوع إليها حتمية و ضرورة للباحثين ولا سيما في دراسة تاريخ حركات التحرر و الصراعات و الثورات و بالتالي فالاعتماد عليها يساهم في فهم الأحوال الاقتصادية و السياسية و التعرف على العادات و التقاليد و العقليات ومختلف المظاهر اليومية و ومنها يستمد الباحث الحقيقة التاريخية [2]

يمثل موضوع المقاومات الشعبية أنموذجا للثورات التي يتحتم على الباحثين في دراسة أحداثها الرجوع الي إلى الوثائق المحفوظة بالأرشيفات المتخصصة منها أرشيف ما وراء البحار (Aix En Pro-vence) بإكس آن بروفانس[3].

مقاومة النمامشة بقيادة الشيخ محي الدين بن الأمير عبد القادر، عام 1871:

شهدت الجزائر عدة مقاومات ضد الإستعمار الفرنسي أكدت على رفض الجزائريين للإحتلال الفرنسي، وقد عرفت منطقة تبسة على الحدود الجزائرية التونسية عدةإنتفاضات منذ السنوات الأولى للإحتلال وأبرزها إنتفاضة جبال النمامشة بقيادة الشيخ محي الدين بن الأمير عبد القادر، عام 1871([4]، أطلق عليها الفرنسيون انتفاضة أولاد خليفة[5]، الذي يعتبر من الشخصيات الوطنية التي قدمت من بلاد الشام لمواصلة الكفاح الذي خاضه والده في بداية الإحتلال الفرنسي[6].

وإذا كان يحي بوعزيز يؤكد أن محي الدين دخل الجزائر عبر وادي سوف[7]، فإن التقارير الفرنسية تؤكد أنه دخل الجزائر عبر السلسلة الجبلية بتبسة المحاذية لتونس حيث المسالك صعبة و كون أعراش قبيلة النمامشة كانت ثائرة عن سلطة الإحتلال الفرنسي المتواجدة بها في هذه الفترة، حيث تسلل إلى داخل التراب التونسي عبر ممرات جبل ميداس و جبل وزاندقوق و جبل غيفوف و زاريف الواعر و الساهل و جبل الريحان و جبل مجور، و قد جاء في إحدى التقارير الفرنسية ،ما يلي : « و لذلك كانت واحة نقرين هي المنطقة التي عملت القوات الفرنسية الوصول إليها عسكريا لطرد آخر ما تبقي من هؤلاء الثوار المتمردين ومكان إلتقاء كل هؤلاء المتعصبين الذين جاءوا يدعون للحرب على حدود الصحراء عام 1871 [8].

بايعت أغلب أعراش النمامشة محي الدين حفيد الأمير عبد القادر الجزائري و ناصر بن شهرة القادم من واحة وادي سوف و خاضوا معه معارك بجبال النمامشة و رتخذوا من رأس العش مقرا لعملياتهم العسكرية و أقدمت القوات الفرنسية على تدمير زاوية سيدي عبيد بقنتيس و إستخرجت رفاة الولي الصالح و أحرقتها و ذرتها مع الرياح[9]،كما أصدرت الحكومة قرارا في 31 مارس 1871يقضي بمصادرة أراضي إحدى عشر قبيلة بتبسة شاركت في الثورة و ضمها إلى ممتلكات الدولة وفقا للأمر الصادر في31 اكتوبر 1845 [10].

وقعت في 26 مارس 1871 معركة كبيرة بوادي الحميمة[11]، بين جيش زعيم الإنتفاضة محي الدين والقوات الفرنسية بقيادة الجنرال بوجي المدعمة بالقوم و الصبايحية القادمين من تبسة و مركز الشريعة مقر القايد أحمد شاوش و قد تفوق فيها الجيش الفرنسي بعد إستعانته بالمدفعية التي وصلت من مركز خنشلة[12].

تعرض سكان نقرين إلى العقاب من طرف القوات الفرنسية التي أتلفت العديد من أشجار النخيل بسبب الضيافة التي منحها السكان لهؤلاء الثوار[13] أ ثناء وجودهم بتونس ، إمتنع قائد الإنتفاضة عن الإتصال بالناس حتى لا تكتشف وجهته،لكونه كان يريد التوجه إلى الجزائر وحتى لا ينكشف أمره ، وإستقر في نفطة ثم توزر بالجريد التونسي و ربط علاقات جيدة الجزائريين و بالزاوية الرحمانية بتونس ، و من بين الشخصيات التي التقاها كل من محمد بوعلاق التونسي[14] و الكبلوتي و بن ناصر بن شهرة[15] و بوشوشة[16] المتواجدين بنواحي نفطة بالجريد التونسي و الصبايحية الفرين من سوق أهراس[17] و الشيخ الميزوني بالكاف.

و قام قائد الإنتفاضة بتوجيه 200 رسالة لزعماء وشيوخ قبائل الجنوب و الجنوب الشرقي للجزائر لحثهم علي الثورة ضد فرنسا[18]، ثم أرسلها من تونس سرا انطلاقا من الجنوب التونسي[19]. وحسب المؤرخ رين فمن بين الزعماء، مرابط تيماسين ُ وآغا تقرت و ورقلة ،و أعيان آل طرود بواد سوف [20] .

ويتوفر أرشيف ما وراء البحار الفرنسي على مئات الألاف من الوثائق الخاصة بتاريخ الجزائر والتي إستولت عليها فرنسا الإستعمارية و حولتها لها قبيل الإستقلال و أهم النماذج، المراسلات التي تعود لقادة المقاومة المسلحة .

وقد عددت الباحثة الأكاديمية كولات إستابلات (Collet Establette) عدد الرسائل المحفوظة بالأرشيف الفرنسي بما يقارب 2500 رسالة كتبها شيوخ و قياد النامشة ما بين 1872 و 1890 منها رسائل تعود لإنتفاضة 1872 [21]. (إنتفاضة 1871 هي المعنية)

رسائل الشيخ محي الدين إلى أعراش النمامشة:

أثناء بحثنا في العلب الخاصة بحوز تبسة للوثائق المرسلة بين قيادة عمالة الشرق في قسنطينة والحاكم العام للحوز عثرنا بأحد العلب الأرشيفية، علي عشرات المراسلات بين قائد إنتفاضة 1871 جنوب تبسة محي الدين بن الأمير عبد القادر و شيوخ أعراش النمامشة لحثهم على مقاومة الإحتلال و طرده إلى جانب مئات التقارير الأمنية الإخبارية من قياد بعض المراكز لنشاط سي محي الدين و أنصاره في المنطقة لا سيما القايد أحمد شاوش و الذي كلفته فرنسا بمتابعة تحركات الشيخ إلى داخل التراب التونسي رفقة عثمان بن أحمد قايد دوار أولاد عبيد.و تحمل معظم المراسلات في أعلاها ختما دائريا يحتوي علي الجملة التالية (**وما النصر إلا من عند اللّه القوي ، القائد محي الدين بن الأمير عبد القادر 1287هـ**)و هو نفس التاريخ للرسائل التي بعث بها إلى شيوخ و زعماء الجنوب[22]. ومنها:

الوثيقة الأولى: رسالة إلى السيد الحفصي بن قابة و أخيه عمار و السيد أحمد بن الفازع و التونسي بن عبدالله مؤرخة في الفاتح ذي الحجة 1277 هجرية يعلمهم بوصوله إلى نقرين ويدعوهم إلى القدوم لنصرة جيش الإسلام ليهزم جيش الكفار، إشارة للفرنسيين وعملائهم ، بجاه النبي المختار وترغيب الناس في الجهاد و دلائل ذلك يكون بالمال و السلاح.

الوثيقة الثانية: رسالة إلى شيوخ أولاد مسعود ممثلين في عثمان عمار و السعود بن التركي و عثمان عبدالله و بخوش بن عبدالله و الطيب بن حامد و احمد بن سالم وأحمد بن صالح وأحمد بن سعد و الكافي بن محمود و محمد بن عبيد وأحمد بن محمد و يعلمهم بوصوله الي نقرين و يدعوهم إلى القدوم لنصرة جيش الإسلام ليهزم جيش الكفار. مؤرخة في الفاتح ذي الحجة 1277 هجرية.

الوثيقة الثالثة: رسالة الى عرش أولاد رشاش مؤرخة في شوال 1277 هجرية و يخبرهم بالقدوم للجهاد في سبيل رب العالمين و نصرة الدين و عين لهم خليفته الشريف احمد بن سيدي علي مبارك وانه سوف يقدم عليهم.

الوثيقة الرابعة: رسالة الى أعيان البرارشة بقياد السيد محمد بن علي وإخوانه و الحفصي بن قابة مؤرخة في شوال 1288 هجرية، و يؤكد قدومه للجهاد و نصرة الدين....و يطلب منهم الإستعداد و أنه أرسل خليفته السيد احمد بن علي مبارك للإلتفاف حوله و أنه سوف يقدم عليهم.

الوثيقة الخامسة: رسالة الى عرش أولاد سعيدان و أولاد حميدة بقيادة بوزيان عثمان و يونس بن عبد الرحمان و مسعود بن علي و عمار بن بلقاسم ، ويعلمهم بنزوله بنقرين و الترغيب في الجهاد في سبيل الله و القدوم إليه مؤرخة في ذي الحجة 1277 هجرية

الوثيقة السادسة: القايد بلقاسم منصر كبير عرش أولاد العيساوي ، و يخبره بقدومه لنصرة الدين و الجهاد و انه يجب عليه ان يكون مع حزب الإسلام و قد بلغه انه رجل عاقل يدرك عواقب الأمور و الموافقة مع اخوانك علي نصرة الإسلام و القدوم اليه، مؤرخة في ذي الحجة 1278 هجرية

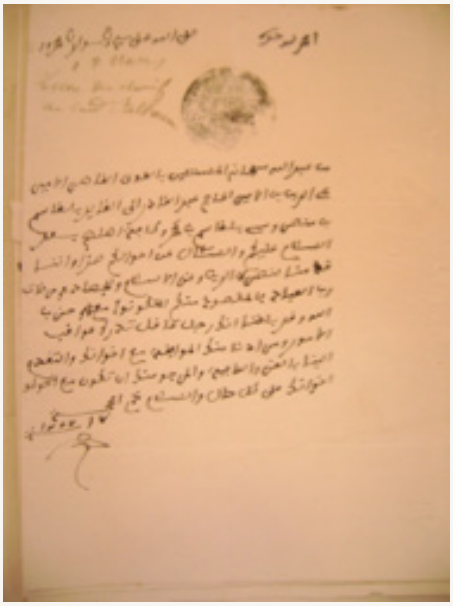

الوثيقة السابعة: رد محمد بن منصر بالمبايعة للشيخ محي الدين بت الأمير عبد القادر.

الوثيقة الثامنة: رسالة إلى عرش أولاد محبوب بقياد الشيخ المكرم الأخضر مؤرخة في 22 ذي الحجة 1278 هجرية.

الوثيقة التاسعة: رسالة إلى محمد بن منصر واصفا الشيخ محي الدين بن الأمير عبد القادر له بمقدم الحضرة التيجانية مؤرخة في الفاتح 1277 هجرية.

1- حوز تبسة. الجزء الجنوبي لولاية تبسة حاليا و المشكلة من الإطار الجغرافي لجبال النمامشة ومرتفعات تبسة، أنظر:

(Pierre Castel-Lieutenant-, **Tébessa, Histoire et description d'un territoire algérien** , Paris, Henry Paulin et Cie)

2- Anom (archives nationales d'outre-mer .Aix en Provence, numéro de boite GGA, 3R, 455-456.

الهوامش:

1- د. عبد المالك **التميمي ،الشك في الوثائق الرسمية** ،عالم الفكر، المجلد 36 ، العدد3، ،اصدار المجلس الوطني للثقافة والآداب ،الكويت 2008 ، ص 156.

2- بن يعزز احمد ، **«الشهادة الشفوية كمصدر لتاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية بين الإمكان و الضوابط»** مجلة الحوار المتوسطي ، العدد 31 / الجزائر، ديسمبر 2016، ص 251.

3- عدة بن داهة،» **استغلال الشهادة الشفوية في كتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954**» ،مجلة المواقف ،المجلد 1 ،العدد 01 ، ، ص173.

4- أطلق بيار كاستل صاحب كتاب حوز تبسة اسم انتفاضة أولاد خليفة حتي يحصرها في عرش معين غير أن المراسلات المحفوظة بأرشيف اكس تؤكد أن ناصر بن شهرة و محي الدين بن الامير عبد القادر الجزائري راسل كل اعراش النمامشة بفروعهم الثلاث –اليارشة و العلاونة و اولاد رشاش بما فيهم عرش ولاد سيدي عبيد غير اللموشي (انظر الملاحق) كما ان القرار الحكومي 31 مارس 1871 يحدد 11 قبيلة من النمامشة مستها مصادرة الاراضي و يعترف بذلك في ص، 259 من كتابه (المرجع السابق).

5- Pierre Castel-Lieutenant-, **Tébessa, Histoire et description d'un territoire algérien** , Paris, Henry Paulin et Cie)

6- محمد السعيد قاصري ،»**دور القائد بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين في الشرق الجزائري سنة1871 م**».مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ،العدد 14، ص 201.

7- يحي،بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**،دار البصائر،الجزائر، 2009،ص226 وأيضا محمد السعيد قاصري، المرجع السابق ص 201.

8- RECUEL DE NOTICES ET MEMOIRES , **société archéologique de portement de Constantine 7eme volume** ,la 2eme série de la collection 1875

9- شلالي عبد الوهاب، **نظرات فاحصة في تاريخ تبسة و جهاد اهلها خلال القرن 19*م**، دار هومة ،2006، ص 61.

10- FR ANOM GGA 58 K 1-32 , Cercle de Tébessa (1858/1880, 1904/1909).

11- الحميمة منطقة جبلية تقع جنوب شرق ثليجان في الطريق المؤدي لوادي هلال و تتوفر علي آثار رومانية كبيرة

و تحيط بها سبسبة جبلية وعرة المسالك منها جبل بوكماش و جبل كاف لمبارك و جبل تازربونت و قعور الكيفان و كانت ملجأ قبيلة النمامشة المتمردة علي السلطة العثمانية و قبلها الرومان و خلال الثورة كانت معقل لجيش التحرير.

12- FR ANOM GGA 58 K 1-32, **Cercle de Tébessa (1858/1880, 1904/1909) rapport sur de la 4em régiment coloniale.**

13- André Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises De la conquête jusqu'en 1919 , 2013, Editions Bouchène, paris, p481.

14- محمد السعيد قاصري ، المرجع السابق،ص 208.

15- بن ناصر بن شهرة أو بن ناصر بن شهرة (1804م - 1884م)، زعيم جزائري قاوم الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال 1851-1875م). ينتمي إلى قبيلة الأرباع بنواحي مدينة الأغواط، و دامت مقاومته أكثر من أربع وعشرين سنة.

16- الشريف محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة بمعنى الفارس،ولد سنة 1827 بالغيشة بولاية الأغواط قاد المقاومة في الجنوب بين 1856 و حتي صدور حكم الإعدام فيه من طرق فرنسا يوم 19مارس 1875،ويقال ونفذ يوم 29 جوان 1875.

17- حسب Rinn فقد بلغ تعدادهم بتونس حوالي 83 فرد و 23 جزائري محكوم عليهم ، أنظر :

Louis Rinn, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger, Librairie Adolphe Jour- , dan.1891, pp192/194

18- محمد السعيد قاصري ، المرجع السابق،ص ص 208.

19- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق،دار البصائر،الجزائر،2009 ، ص 226.

20- لويس رين، **تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر**،ترجمة مسعود حاج مسعود،دار الرائد للكتاب،ص 242.

21- Colette Establet, Administration et tribu chez les Némencha (Algérie) au XIXe siècle, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée Année 1987 numéro 45 pp. 25-40.

22- لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر،ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب،ص 242.